

هل تكون العملية الإرهابية في نيويورك أول المطاف أم آخره؟

بقلم الكولونيل شريل بركات

شهد العالم في الأسبوع الماضي فيلما سينمائيا على طريقة أفلام هوليوود حيث تم اختطاف أربعة طائرات في يوم واحد من مطارات أمريكية بدون الحاجة إلى الأسلحة التقليدية أو القنابل وانتهت هذه بتوجيه ضربة رمزية ونوعية، لها الكثير من المدلولات، إلى رموز الولايات المتحدة الأهم وهي: مركز التجارة العالمي وبرجيه التوأمين رمز النظام العالمي الرأسمالي الذي تقوده الولايات المتحدة وتمثله بكل ثقلها مع الدول الصناعية السبع الأخرى والتي أصبحت روسيا أيضا واحدة منها، والرمز الآخر "البانتاغون" الذي يمثل القوة التي تحمي هذا النظام، ورأس الهرم الأميركي الذي هو الرئيس حيث لم تتجح عملية ضربه إن كان في البيت الأبيض أو كمنب ديفيد أو "بير فورس وان" (Air Force one) .

هذا "العرض السينمائي" الذي قام به "الإرهاب العالمي" المتجسد بالمتطرفين الإسلاميين له الكثير من المدلولات وينذر بعواقب أبعد وأخطر على النظام العالمي الجديد الذي كاد أن يأخذ شكله بعد زوال الكتلة الشرقية وانضمام جميع الأقوياء إلى النادي الدولي الذي يحاول رسم الحلول لكل مشاكل الأرض كمقدمة للإنتلاق إلى أمور أبعد من التقاتل حول مصادر الرزق أو الطاقة أو المشاكل اليومية البسيطة في محاولة لجعل كوكب الأرض مكانا صالحا للإنتلاق في مغامرة السماء.

الولايات المتحدة والعالم المشدوه لم يصدقوا أعينهم ولم يستوعبوا الضربة بعد بالرغم من مرور الأيام العشرة عليها وسوف يرتفع بالتأكيد عدد الضحايا إلى الآلاف ويتأثر النظام الإقتصادي العالمي فبعض هؤلاء الضحايا هم من كبار الإقتصاديين العالميين الذين سيترك غيابهم فراغا كبيرا وربما بعض الأزمات. ولكن ذلك كله في كفة وما على العالم أن يفعل في الكفة الأخرى .

الرئيس الأميركي مدعوما من ممثلي الشعب والحكومات الكبرى تكلم عن إلغاء الإرهاب والقضاء على مموليه وقادته ورموزه والدول التي تحميه. ولكنه مع كل هذا الحشد من التأييد لم يتمكن بعد من جعل العالم الإسلامي، الذي تقوده دون شك العربية السعودية، يفرق بين الدين الإسلامي الذي يجب أن يكون ككل الأديان دين "رحمة" (فإنه رحمان رحيم) ودين سلام (فالسلم عليكم هي دعوة المسلمين) ودين دعوة إلى عدم القتل (فمن قتل نفسا بغير ذنب كأنما قتل الناس أجمعين)، وبين أولئك الذين يعتبرون أن إحدى ركائز الدين لا تزال في هذا العصر، عصو "القرية العالمية"، الجهاد في سبيل الله، وأن العالم لا يزال مقسما بين "دار الإسلام" و"دار الحرب" فالحرب هي الوسيلة الوحيدة لنشر الإسلام على كل الأرض وجعل "الكفار" يقبلون بحكم الشريعة.

هذا الإسلام عنده مشكلة كبرى مع كل سكان الأرض فإذا كان يقبل بأن يعتبر المسيحي واليهودي من "أهل الذمة" فهو لا يقبل أبدا بالمليار هندي (هندوسي أو غيره) أو المليار صيني (بوذي أو غيره) أقرب جيرانه... فكيف سيواجه العالم هذه النزعة القادمة من غياهب التاريخ والتي لم يتمكن نهر البترول والرفاه الذي رافقه من جعل السعودية تقبل بعقاب أخف من قطع يد السارق ورجم الزانية وما إلى هنالك من عقوبات كانت لا شك صالحة في القرون الماضية ولكنها مع تطور العصور والعقول والأنظمة يجب أن تصبح من الماضي.

لم تتمكن الولايات المتحدة حتى اليوم من إقناع السعوديين من توقيع شرعة حقوق الإنسان التي تبنتها الأمم المتحدة ووقعتها أغلب الدول الإسلامية وغير الإسلامية. ولذا فلا عجب أن يكون بن لادن (الملياردير السعودي) وجماعته بهذه الشراسة وهذا الحقد لا يفرقون بين مذنب أو بريء ولا يحسبون حسابا لأي نظام أو قانون ...

واليوم وبعد هذه الهجمة الشرسة وبعد هذه الجريمة النكراء التي رفضها كل العالم لا تزال العربية السعودية تعترف بنظام طالبان الذي يحمي هؤلاء وتؤيده لأنها لا يمكنها التكر للذين يحاولون تنفيذ حكم الشريعة ويزايدون عليها في ذلك. لم تستطع العربية السعودية، التي يعتبر ملكها نفسه حامي "الحرمين الشريفين" وبشكل أو بآخر يجب أن يكون حامي الإسلام، لم تستطع أن تتدد بالجماعة الجزائرية التي تقتل المسلمين أطفالا وشيوخا ونساء بغير ذنب إلا ذنب أنهم يتبعون لحكم الدولة الجزائرية التي يحاربون ويحللون ويحرمون ما يشاؤون في قتالها ...

العالم الحر لا شك سيتحرك والأميركيون سيحاولون ضرب الإرهاب ولكن هذا الإرهاب الذي يستغل الدين غطاء لن يسقط بالسهولة التي نتصور إن لم تبدأ عملية إعادة التقييم الذاتي داخل الدين الإسلامي نفسه ورحمة بالمسلمين قبل أن يصبح المسلمون كلهم في جهة والعالم في الجهة الأخرى .

"فيا أيها الذين آمنوا إتقوا الله" (عز وجل) وتوقفوا عن دعم أعداء "الإنسانية" الذين لم يرتدعوا عن قتل أطفال المسلمين فكيف لا يقتلون الآخرين.

وإذا كانت الولايات المتحدة التي تقود العالم اليوم إلى الصراع مع هذا الشكل من أشكال الإرهاب ولم تستطع أن تجعل المسلمين المعتدلين يأخذون هم المبادرة في تصحيح خطى الإسلام الحديث فإن هذه العملية التي رأينا لن تكون آخر العنقود بل يمكن أن تكون أوله...